

مالاوي •• الشعب الحبيس

عبده دسوقي

في جنوب شرق إفريقيا حيث الطبيعة الساحرة تقع كثير من البلدان التي ينتشر فيها الإسلام، ولا يعرفها كثير من المسلمين أو يعرفونها لكن دون الاهتمام بها، ومن هذه البلاد دولة مالاوي التي يشكل فيها المسلمون ما يقرب من ٤٠ في المائة لكنهم يتعرضون للهجمات التبشيرية كل حين.

مالاوي تاريخيا

كانت مالاوي مستوطنة بريطانية منذ سنة ١٨٩١م وحصلت على استقلالها سنة ١٩٦٤م تحت حكم هاستينغز باندا، وكان عضوا في الكنيسة الكاثوليكية البروتستانتية الذي شجع نمو البروتستانتية وهاد سياسة تمييز عنصري ضد الأقلية المسلمة، وأسس نظام حزب واحد سنة ١٩٦٦م ومنع الحركات المعارضة ومارس السجن بدون محاكمة، والتعذيب لكل المعارضين السياسيين حتى عقلت كل المساعدات الدولية والإنسانية الموجهة نحو مالاوي بشرط عودة الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وقد مناهم هذا الإجراء في تنظيم استفتاء سنة ١٩٩٣م أعاد التعددية للسلطة السياسية وانتصرت الجبهة الديمقراطية سنة ١٩٩٤م مع قدوم باكيلي مولوزي الذي وضع حدا لإحدى أطول الديكتاتوريات في العالم، والرئيس الحالي هو بينجو وا موتاريكا.

المسلمون في مالاوي

تعتبر مالاوي من أوائل البلدان الإفريقية التي وصلها الإسلام واعتقه كثير من أهلها جراء احتكاكهم بالتجار المسلمين القادمين من الساحل الشرقي

أسعار السلع فيها مرتفعة. فهي تعتمد على موانئ دار السلام وبيرة. وتتميز السوق المحلية فيها بوجه عام بالحدودية وانخفاض القوة الشرائية للمواطن المالاوي، فهي دولة زراعية توجد بها صناعات محلية محدودة جدا.

ويمكن وصف الطرق الداخلية التي تصل بين المدن الرئيسية بأنها جيدة وأمنة بشكل عام إلا أن هذا لا يمنع من أن هناك حوادث سرقة من حين لآخر. والقرب الجغرافي من جنوب إفريقيا يجعل منها المصدر الأساسي للسلع المستوردة من الخارج، خاصة أن نقل السلع من جنوب إفريقيا إلى مالاوي يمكن أن يتم بریا، كما أنها من أفقر عشر دول في العالم.

وتعتبر مالاوي من البلدان الأقل تقدما في العالم، حيث يعيش ما يقرب من ٥٠ في المائة من السكان تحت خط الفقر، حيث لا يملك أغلب سكان مالاوي الطاقة الكهربائية، كما أنهم يعانون سوء التغذية رغم أنها من البلدان الإفريقية القليلة التي تنتج فائضا غذائيا بشكل دوري، ويعود هذا التراجع إلى نظام إقطاعي لا يفيد إلا مالكي كبريات الأراضي الزراعية.

وتعد مالاوي جمهورية موحدة، عاصمتها ليلونجوي، وأهم المدن بلانتاير المدينة التجارية، ومساحة الدولة ١١٨.٥٠٠ كلم^٢ وهي من الدول الحبيسة التي لا تطل على بحر أو محيطات، ويحدها شرقا وجنوبا وجنوب غرب دولة موزبيق، ومن الغرب دولة زامبيا، ومن الشمال الشرقي تنزانيا.

وتتميز مالاوي بالمناخ المعتدل بوجه عام، وفصل الصيف هو فصل هطول الأمطار الغزيرة ويمتد من أكتوبر حتى إبريل، أما فصل الشتاء فيمتد خلال الفترة من مايو حتى سبتمبر ويتميز بالبرودة والجفاف.

يبلغ عدد سكانها ما يقرب من ١٢ مليون نسمة، واللغة المتداولة في البلاد هي الإنجليزية والشيشيكا وهما اللغتان الرسميتان. وتنتشر فيها ديانات مختلفة منها الإسلام والمسيحية ويبلغ عدد المسلمين ما يقرب من ٤٠ في المائة، والمسيحيون ٥٥ في المائة، ويشكل الوثنيون ما يقرب من ٤.٨ في المائة، وال ٠.٢ في المائة بهائيون وهندوسيون.

ودولة مالاوي دولة حبيسة وبالتالي فإن تكاليف شحن البضائع إليها مرتفعة مما يجعل

لفارة إفريقيا، لكن بسبب الاستعمار وبعثات التبشير انقلبت الصورة بحيث أصبح المسلمون أقلية في مالاوي.

لقد دخل الإسلام إلى مالاوي وانتشر فيها، غير أن الروايات مختلفة حول زمن دخوله، فرواية تقول: إن دخول الإسلام إلى مالاوي جاء في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك منذ عهد داود بن سليمان ١١١٨م - ١١٥٨م وهو أحد سلاطين إمبراطورية الزنج أو مملكة كلوة، حين توغلت قوافل كلوة التجارية إلى أراضي رواندا، وبيروني، وجنوب الحبشة وشرقي الكونغو ونياسالاند التي صارت مالاوي فيما بعد، غير أن هذه الرواية غير مؤكدة.

والرواية الثانية تقول: إن الإسلام دخل إلى مالاوي حوالي القرن السابع والثامن عشر من الميلاد على أيدي التجار المسلمين الذين وفدوا إليها من دولة تنزانيا، وقد بقي هؤلاء الدعاة والتجار بيئة صالحة للنمو والانتشار الأمر الذي أدى إلى تأسيس مركز التجارة في الشمال والوسط، تحت رئاسة ملوزي في الشمال في منطقة كارونجا وجومبي، وفي الوسط بمنطقة كوتا.

وهذه الرواية أقرب إلى الصواب ويعضدها القول بأن تاريخ الإسلام في مالاوي يرجع أولا إلى معرفة التاريخ الذي دخل فيه الإسلام إلى موزبيق، ذلك

بسبب المحاعات والأمراض، وغيبة الدعاة، وغيبة الإعلام الإسلامي.

وزادت تلك الحملات بعد قيام لجنة مسلمي إفريقيا - جمعية العون المباشر - ببناء مركز إسلامي بتكلفة ٧٠ ألف دولار أمريكي قبل ٢٠ سنة، فجن جنون الكنيسة الكاثوليكية التي كتفت أسقف منغوشي بمقابلة البابا ليحصل منه على ٩ ملايين دولار أمريكي لتتصير المنطقة، ثم ما لبثت أن توالى التبرعات للكنيسة من أوروبا وأستراليا وشمال أمريكا لدعم بناء مدارس وكنائس في المنطقة، ولا تكاد تجد قرية حتى لو كان جميع سكانها مسلمين بدون كنيسة، ومن نشاطات هذه الكنائس إعطاء آلاف المنح الدراسية لأبناء المسلمين، ليس فقط للدراسات العامة، بل ليخرج عدد منهم من مركز الدراسات اللاهوتية بصفتهم رهباناً ينشرون المسيحية وسط أهلهم.



الفترة انتخب لأول مرة في تاريخ مالاوي رئيس جمهورية مسلم، وتخرج العشرات من أبناء المسلمين أطباء، ومهندسين، ومحاسبين، وأساتذة جامعيين وغيرهم، بينما لم يكن أي خريج مسلم من الجامعة حتى عام ١٩٨٤م.

ويواجه المسلمون هناك صعوبات في الحج إلى بيت الله الحرام بسبب أن الحكومة لا تقدم الدعم للحجاج، ومن ثم أصبح القطاع الخاص هو المسيطر على هذه الشعيرة.

التنصير في مالاوي

على الناحية الأخرى يتعرض المسلمون لضغوط التبشير حتى إن هيئة الإغاثة العالمية وجهت نداء إلى جميع المسلمين في العالم أن يتعاونوا لإنقاذ إفريقيا المسلمة من خطر التنصير، ويذكر النداء أن نسبة المسلمين في مالاوي قد انخفضت من ٧٠ في المائة إلى ٣٠ في المائة نتيجة الحملات التبشيرية، وأن مركز التبشير في ذاكار عاصمة السنغال وحدها يعمل به ٢٥.٠٠٠ قسيس وراهب، وأن هناك ٦٥ مليون مسلم في إفريقيا معرضون للارتداد عن الدين الإسلامي.

الكويت عن طريق لجنة مسلمي إفريقيا الكويتية المشهورة التي قامت بمجهودات فعالة وجبارة في بناء المساجد وتأسيس المراكز الإسلامية وإقامة دور الأيتام في جميع أنحاء البلاد تحت إشراف الشيخ سعد الطالب الذي كان أول مندوب للجنة مسلمي إفريقيا في البلاد، وهي اللجنة التي كان يقودها د. عبدالرحمن السميح.

ولما تم احتلال الكويت من قبل العراق توقفت المساعدات والمعونات مما كان عاملاً قوياً في تقليص نشاط الجمعية، فالمساجد التي شيدت، ودور الأيتام التي بنيت، والمراكز الإسلامية التي تم تأسيسها، أغلبها في حاجة إلى صيانة وإصلاح، وذلك لأن الجمعية لا تملك المصادر الحقيقية لمشاريعها الإسلامية المختلفة سوى ما تبرع به بعض التجار المسلمين من الإخوة الآسيويين، وقليل من إيرادات استثمارات العقارات التي تمتلكها الجمعية. لقد تغير حال المسلمين في مالاوي خلال ٢٠ سنة وارتفعت نسبة المسلمين من ١٧ في المائة إلى أكثر من ٤٥ في المائة من مجموع السكان، وخلال هذه

لأن القبيلة التي أدخلت الإسلام إلى مالاوي أصلها من موزمبيق وكان ذلك عام ١٨٥٠م. ١٨٧٠م وهي قبيلة اليأو حيث اعتنقت هذه القبيلة الإسلام حوالي القرن الخامس عشر لما أسس تجار العرب من شرق إفريقيا مركزهم التجاري في موزمبيق عند منطقة تيني.

وتعتبر مدينة منغوشي من المدن الإسلامية الموجودة في مالاوي، غير أنها مهددة بالنشاطات التبشيرية من كل الجهات ومن كل صوب لتحويل المسلمين عن دينهم الحنيف إلى الكفر.

الجمعيات الإسلامية

توجد الآن في مالاوي جمعيات إسلامية عدة تقوم بعمل لواء الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية، ومنها جمعية مسلمي مالاوي وقد تأسست هذه الجمعية في عام ١٩٥٦م كمظلة رابطة بين المسلمين في مالاوي، فجميع الاتحادات والجمعيات المحلية الإسلامية تعمل تحت إشراف هذه الجمعية. فقد قامت الجمعية منذ تأسيسها بالعمل على نشر الإسلام وتعميق العقيدة السمحاء والثقافة الإسلامية في ربوع البلاد وتوسيعها لدى العاملين في مجال الدعوة الإسلامية، وقد قامت ببناء المساجد، والمراكز الإسلامية، ودور الأيتام في جميع أنحاء البلاد، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الجمعية من أعمال أخرى كالدورات التدريبية لإعداد المعلمين والدعاة وإقامة المؤتمرات.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الجمعية منذ الثمانينات كانت تتلقى المساعدات المالية من دولة

المصادر

- ١- صحيفة عكاظ: العدد ٢٢٨٠ الأحد ١٣/٥/١٤٢٨هـ الموافق ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٧م.
- ٢- مجلة المجتمع الكويتية: العدد ١٧٩٨، ٤/١٩/٢٠٠٨م الموافق السبت ١٢ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ.
- ٣- مجلة الكوثر: العدد ١٤٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق يونيو ٢٠٠٢م.
- ٤- موقع إسلام أون لاين ٢/١٠/٢٠٠٦م الموافق ٩ رمضان ١٤٢٧هـ.
- ٥- موقع: arabic.xinhuanet الصيني يوم ٢٢/٢/٢٠٠٩م الموافق ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٠هـ.
- ٦- موقع أبناء الصحراء الغربية: ٢/٢/٢٠٠٨م الموافق ٢٤ محرم ١٤٢٩هـ.
- ٧- أطلس العالم.
- ٨- موقع ويكيبيديا.